

سلامات يا دكتور!

كان هناك أيضاً... رأيت جسده يتخبط في عتمة الليل الموحش. كان الظلام ما يزال يلف الشارع، وهدوء الفجر لا يعكره سوى أصوات الرياح الباردة تصطدم بالأبواب الحديدية لدكاكين الحارة المقفلة. كان يترنح بإنهاك واضح، يخبى رأسه بين ضفتي ياقة معطفه الشتوي المثلث.

عندما اقتربت منه حاول أن يبتعد، فترددت، لكنه كان قد صار من القرب بحيث لم يستطع أي منا أن يتجنب الآخر دون أن يترك انطباعاً لدى الآخر بالشك والريبة، فأثرنا المواجهة. ابتسم لي بتصنع واضح، وهو ما كنت قد فعلته أيضاً. بادرت به بالسلام لكنه لم يرد... وفاحت رائحة فمه فأيقنت أنه ثمل.. زاد فضولي فاقتربت منه أكثر، لكنه نهمني بشدة. يا إلهي!! لقد عرفته ولا بد أنه قد عرفني أيضاً... اللعين... كيف ظهر لي فجأة هذا المساء؟ منذ مدة لم نلتقي... كانت علاقتنا قد أصابها الفتور مؤخراً منذ بدأ ينتقدي بحدة متجاوزاً حدود الصداقة التي بيننا، فلم يعد يطيقني، ولا أنا أيضاً. أما وقد توأجها الآن فلن يكون بمقدور أي منا تجاهل الآخر... كان موقفاً عصيباً دون شك؛ لكننا آثرنا الصمت وسرنا جنباً إلى جنب، نترنح سوياً كلما تلاصقت أجسادنا تنافرنا بشدة. وأرتفع فجأة صوت الأذان، وتجاهلت نظراته اللائمة، ثم ما لبثت أن تعثرت قدمي وانبطحت على صدري وانقطعت أنفاسي لوهلات قصيرة...

كان قد أنفجر ضاحكاً ساخراً مني قبل امتدت يده تبحث عن شيء تستند عليه. كان الدم قد احتقن في عروقي وهو لا يزال يضحك، فما كان مني إلا أن التقطت حجراً مجاوراً

وقذفته به، فصرخ صرخة حادة وخرّ صريعاً على الأرض، وسالت الدماء من رأسه... توقف

عن الضحك وشرع بالبكاء يكيّل لي كل ما أحفظه من شتائم..

خيم الصمت مرة أخرى. حاولتُ أن أتحمس الجرح النازف من رأسي بينما استلقى هو

بتهالك على الرصيف بجواري. كان الشارع لا يزال مظلماً لكن أجساد المصلين بدأت

بالظهور من طرف الشارع. وما هي إلا لحظات حتى هرعتُ أصواتٌ نحونا.. تلفتُ أبحت

عنه فلم أره.. بينما امتدت أيادٌ كثيرةٌ نحوي تساعدني على النهوض..

- ماذا حصل..؟

صرخ أحدهم متسائلاً.

- وجدناه للتو هكذا..

قال صوت آخر.

كنت أستمع لحواراتهم بلا وعي... ما أزال أبحت عنه لكن دون جدوى.. لقد اختفى ..

- هل هو بخير..؟

- ضم رأسه جيداً...! لا بد من اسعافه...

- من فعل به هكذا..؟! لا بد من إخبار أهله..

- لا وقت الآن لهذا..

كنت قد بدأت أستعيد وعي قليلاً.. واستطعت أن أميز وجه أحد الجيران. تجنبتُ بحذر أن

يشتم رائحة فمي أحد، وانسقت بانصياع لإرشاداتهم. همس أحدهم في أذني مشجعاً:

- سلامات يا دكتور... سلامات إن شاء الله..